أولا : التعريف بالدولة الرستمية

الرستمية أول دولة إسلامية مستقلة بالمغرب الأوسط ، عرفت في التاريخ باسم الدولة الرستمية نسبة إلى عبد الرحمن بن رستم- كما جرت العادة في تسمية الدول الإسلامية في العصور الوسطى بأسماء الآباء المؤسِسين؛ وهي على مذهب الإباضية؛ ظهرت رسميا سنة 160هـ/777م بمدينة تيهرت او تاهرت ، واستمرت حوالي 136 سنة- أكثر من عمر الدولة الأموية والدولة العباسية- وسقطت على يد أبي عبد الله الشيعي سنة 296 هـ/909م.

لم تعرف الدولة الرستمية حدودا ثابتة فقد كانت تتسع أحيانا وتتقلص أحيانا أخرى، وأما أقصى مد لها فهو ما بلغته خاصة في عهد الأئمة الثلاثة الأوائل ،إذ كانت الدولة تضم كافة المغرب الأوسط وأجزاء من المغرب الادنى حيث كان يحدها شرقا سرت ، وغربا تلمسان ونهر ملوية.اشهر مدن الدولة الرستمية: مدينة " تيهرت " العاصمة"- مدينة و هران- مدينة شلف- ومدينة الغدير- مدينة الخضراء.

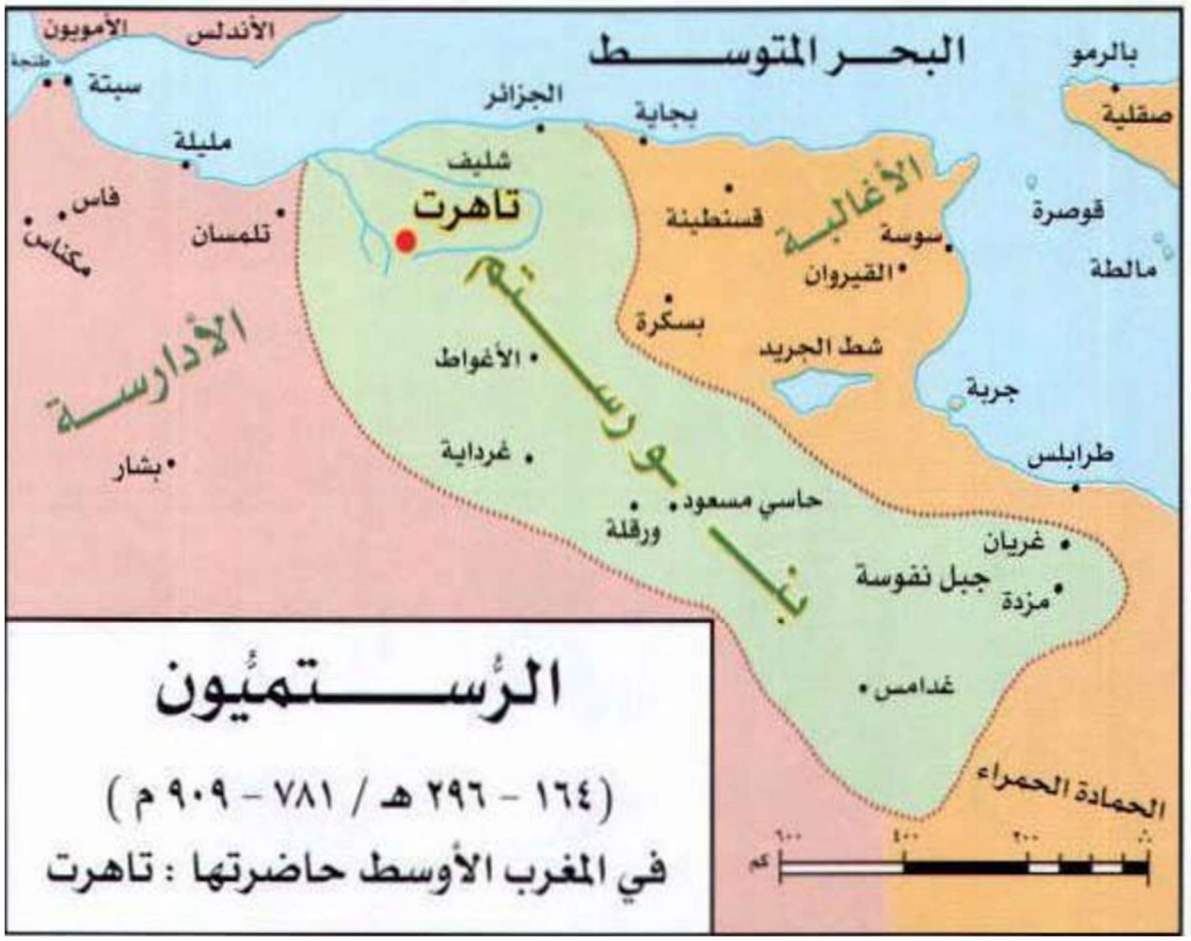

ثانيا:الاوضاع السياسية و الاقتصادية و الفكرية في الدولة الرستمية

➢ الأوضاع السياسية في الدولة الرستمية

تميزت الأوضاع السياسية للدولة الرستمية بالنشاط والحيوية والاستقرار والاضطراب في آن واحد؛ واشتهرت هذه الدولة بنظام الشورى المطبق فيها، وبعدالة أئمتها _حكم الامامة _، وصلاحهم وتقواهم وعلمهم، وبازدهارها، وقد كان يعيش تحت ظلها أتباع كل المذاهب الإسلامية، وكانوا يمارسون عبادتهم بكل حرية وأمان، وكانت لهم مساجدهم وبيوتهم الخاصة التي يعيشون فيها مُصانين الحقوق بعدل وإنصاف من غير تفريق بين مذهب ومذهب.

كما تخلل تلك الفترة الآمنة ثورات وحروب وفتن منها: فتنة ابن فندين وابن عرفة؛ وأدى التنافس على الحكم بين أفراد الأسرة الحاكمة وانقسام أتباع المذهب الإباضي إلى سقوط الدولة بسهولة في يد أعدائها.

➢ الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في الدولة الرستمية

يحمل كتاب ابن الصغير الكثير والعديد من الشواهد على تطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية في تاهرت،فهو يعاين بدقة تطورها من الحياة البسيطة قبل مجيئ الوفد الاول من البصرة الى الاكثر رخاءا في المرة الثانية بعد ثلاث سنوات . و كانت الحياة التي وجد الوفد الاول عليها الامام عبد الرحمان تدل على بساطة العيش ،فهو يصلح سقف بيته بالطين بيده بكساعدة غلامه ،و يجلس الحصير، وليس عنده شيء سوى وسادته التي ينام عليها و سيفه و رمحه و فرس مربوطة في ناحية من داره . اما في المرحلة الثانية فقد ارسل اباضية العراق لعبد الرحمان بن رستم عشرة احمال من المال، لكنهم وجدوا الامور قد تبدلت ،و احوال المدينة قد تغيرت ،و ذلك انهم قد وجدوا ان القصورقد بنيت ، والبساتين قد غرست ،و الارحاء قد نصبت ، و كما وجدوا الخيول و غيرها من الامور كالخدام و العبيد .....، وقد اشار ابن الصغير ان هذا التحول قد تم خلال فترة قصيرة نسبيا ،حيث يرجح بعض الباحثين ان المدة الفاصلة بين الوفدين اكثر من ثلاث سنوات ،لقد ساعدت الاعانات الخارجية الامام بن رستم و اعيان الاباضية على انشاء مشاريع من اجل التنمية و التطوير وضمن هذا السياق قسمت هذه الاموال الى ثلاثة اقسام ثلث في الخيل ، وثلث في السلاح ،و ثلث و زعت على فقراء الناس وضعفائهم ،اما ما بقي من المال فاستصلحت به الاراضي البور وغرست البساتين و اجريت الانهار فضلا عن ذلك فان انفتاحها على طرق التجارة قد ساهم في ازدياد حيويتها الاقتصادية، حيث اصبحت مركزا يرتاده التجار والمسافرون وهو ما سجله

الادريسي في حديثه عن اسواقها النشيطة، كما تذكر المصادر ان العلاقات الخارجيه توسعت بشكل ملحوظ خاصه مع بلاد السودان ، حيث توجت بسفارة رستمية هناك لتعزيز هذه العلاقة، وهذا دليل على النضج الذي تمتع به الرستميون في هذا الشأن ، وعلى ذكائهم في فتح اسواق خارجية .فضلا عن ذلك فقد ساهمت المداخيل الثابتة او الصدقات في تسيير شؤونها اليومية و تنظيمها.

- **الأوضاع الفكرية في الدولة الرستمية**

كان للرستميين دور بارز في الحياة الفكرية بالمغرب الأوسط خاصة، ولا نبالغ إذ قلنا بالمغرب الإسلامي، فقد حملت هذه الدولة مشعلا عظيما للحضارة والعلم في الشمال الإفريقي، وقد اهتمت الدولة الرستمية بإنشاء المكتبات العلمية الزاخرة بمختلف فنون العلم والآثار، ومن مكتباتها المشهورة مكتبة " المعصومة " التي كانت تحوي آلافا من المجلدات والكتب، أوصلها بعض الباحثين إلى ثلاثمائة ألف مجلد، فكانت تحوي بين رفوفها كتبا في علوم الشريعة من تفسير وحديث وفقه وتوحيد، وكتبا في الطب والرياضيات والهندسة والفلك والتاريخ واللغة وغيرها من العلوم المختلفة، ولم تكن كتبها مقتصرة على مذهب بعينه بل كانت تجمع مؤلفات لمختلف المذاهب الإسلامية، ومن المكتبات المشهور الأخرى " خزانة نفوسة " الجامعة لآلاف الكتب، وكذلك لم تخل منازل العلماء في الدولة الرستمية من وجود المكتبات الخاصة.

الى جانب ذلك فقد قدم ائمة وعلماء الدولة الرستمية للامة الكثير من المؤلفات في مختلف فنون العلم، سواء الدينية او الدنيوية،كما عرفت بكونها تقيم الكثير من المناظرات والمناقشات العلمية، التي كانت تتم بكل حرية وبلا تضييق، وذلك لان الدولة الرستمية عاش في كنفها الكثير من اتباع المذاهب الاسلامية ،كالاباضية و المعتزلة والصفرية والحنفية والمالكية والشيعة وغيرهم ، بل كان هنالك وجود ايضا لليهود والنصارى.

ثالثا :ائمة الدولة الرستمية

نجح عبد الرحمن بن رستم في توطيد دعائم دولته خلال الفترة التى قدر له أن يحكمها (144-168هـ) ،وقد خلفه من بعده ابنه عبد الوهاب الذى بقى في حكم الدولة الرستمية عشرين سنة، ثم "أفلح بن عبد الوهاب" الذى حكم أكثر من خمسين عامًا (188-238هـ)، ثم تتابع في حكم الدولة الرستمية خمسة من الأمراء، هم: أبوبكر بن أفلح، وأبو اليقظان، فأبو حاتم، فيعقوب ابن أفلح، فاليقظان ابن أبى اليقظان آخر أمرائه.

رابعا :العوامل المساعدة على سقوط الدولة الرستمية

الصراعات الداخلية :

خلافات بين الائمة و تنافس بين الزعامات الاباضية اضعفت الحكم .

ضعف الجيش :

الاعتماد على تحالفات قبلية ضد أي تهديد خارجي او داخلي اكثر من تنظيم جيش قوي.

العزلة الجغرافية:

تمركز العاصمة تاهرت بعيدا عن مراكز القوة الاخرى جعلها عرضة للهجوم .

دعاة الشيعة الاسماعيليين :

بعد ضعف الدولة الرستمية ،برزت قوة جديدة اسسها بعض دعاة طائفة الشيعة في المغرب الاوسط ، استغلوا هذا الضعف و مهدوا لقيام دولة لاحقة بعد سقوط الدولة الرستمية سنة 909م.